المبحث الثالث

أثر برنامج المقاومة وبرنامج المسيرة السلمية في الانتخابات الفلسطينية

د. ذياب مخادمة*

تستقطب البرامج عادة اهتمامات الرأي العام، ويظهر أثرها بوضوح إبان العمليات الانتخابية، حيث تتنافس القوى السياسية المختلفة بواسطة برامجها من أجل كسب ود الرأي العام وصوته بالتالي، وهكذا تزج القوى والأحزاب السياسية برامجها في الساحة الانتخابية لكسب رضا الناخب والوصول إلى السلطة.

كل ذلك يسير عادة وفق نظام انتخابي ديمقراطي يتيح للجميع دون استثناء التكافؤ في الفرص والإمكانيات الانتخابية، إلا أن الأمر في العالم الثالث والساحة العربية وكذلك الفلسطينية لا يذهب بعيداً مع الحالة الديمقراطية التي يصار الحديث عنها بشكل واسع عبر وسائل الإعلام، بل إنه غالباً ما تكون العمليات الإعلامية وسيلة للتغطية على حقيقة ما يجري، وتصبح العمليات الانتخابية بهالتها الإعلامية غطاءً

(*) أستاذ العلوم السياسية / الجامعة الأردنية

لعملية فعلية تجري خلف الكواليس بترتيب وضع معين غالباً ما يكون لصالح الحاكم فرداً أو حزباً أو فئةً، فالوطن العربي شهد في العقود القليلة الماضية نظام الحزب الواحد أو الجهة الواحدة أو التنظيم الواحد، وحيث إن المتطلبات الدولية تملي نفسها على الأوضاع الداخلية وتصبح الديمقراطية والعمليات الانتخابية وكأنها استجابة لضغوط خارجية أكثر مما هي استجابة لحاجات محلية. وهنا تأتي عمليات التزاوج القسري ما بين الاستجابة للضغوط الخارجية والحفاظ على الوضع القائم لتبقى الجهة الحاكمة في مواقعها، ولكن هذه المرة بمظهر وغطاء ديمقراطي يعبر عنه الناخبون بوساطة صناديق الاقتراع.

الساحة الفلسطينية لم تشذ عن هذه القاعدة، والانتخابات التي جرت بعد عودة منظمة التحرير الفلسطينة إلى الداخل إثر قيام السلطة الفلسطينية عبر اتفاقيات أوسلو شهدت عملية انتخابية بإشراف دولي، ولكنها في المحصلة قادت قيادة منظمة التحرير لقيادة السلطة، وقيادة المنظمة هنا لا نعني بها الأشخاص والرموز فحسب، بل البرنامج أي برنامج المسيرة السلمية، ثم إن هذه النتائج التي رحبت بها الإدارة الأمريكية في حينه، والتي لم تكن بعيدةً عن رغباتها، عادت هذه الأداة وانقلبت عليها حينما تأثر برنامج السلطة الفلسطينية، أو حينما لم يتحاش فيما بعد كثيراً مع ضغوط تلك الإدارة، في الوقت الذي يعلو

فيه صوت الإدراة الأمريكية في الحديث عن الديمقراطية والتعددية، ولكن حتى تلك الديمقراطية التي كانت مقبولة في ذلك الوقت لم تعد مقبولة لها فيما بعد.

طغى برنامج المسيرة الديمقراطية أو التسوية على الساحة الفلسطينية، وتقهقر برنامج المقاومة ورحب به الرأي العام الفلسطيني الداخلي بحذر، على أمل أن توصل هذه التسوية الجميع إلى حال أفضل تنقذها من نير الاحتلال ويقودها إلى الدولة الفلسطينية المستقلة، حتى لو كانت على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، وعمل أصحاب برنامج التسوية على محاولة طمس أصحاب برنامج المقاومة واجتثاثهم، وكادت الأمور أن تصل إلى معارك داخلية.

الرأي العام الفلسطيني، محط الورقة، وجد فيما بعد أن تطلعاته للتسوية المنشودة بالنسبة له شيء مختلف تماماً عما يجري على الأرض، فحتى التسوية المنقوصة التي قبلت على مضض في الضفة الغربية وقطاع غزة على أمل الوصول إلى دولة بعض فلسطين، حتى هذه التي كان يسميها تسوية الحد الأدنى غير واردة، والتنازلات المتتالية التي تقدمها السلطة الفلسطينية في سبيل الوصول إلى حل تمثل الحد الأدنى الذي يمكن أن يلبي حاجات الشعب الفلسطيني حتى هذه لم تعد واردة.

بل إن القيادة الفلسطينية التي ذهبت إلى التسوية وتحملت تجاهل مشاعر الشعب الفلسطيني، حتى هذه القيادة لم تعد مقبولة من الطرف الإسرائيلي، ويعلن علانية أنها لم تعد قادرة على المضي قدماً في التسوية، ولا بد أن تكون هناك قيادة بديلة قادرة على تقديم التنازلات، وحينما تمت الاستجابة إلى هذه الضغوط، حيث استحدثت مؤسسة الحكومة الفلسطينية وجيء بشخص مقبول لحد ما من الطرف الآخر، حتى هذا لم يستطع الذهاب بعيداً في برنامج التسوية الذي تريده إسرائيل والمدعوم من الإدارة الأمريكية، الأمر الذي دفع به إلى الاستقالة إلى جوانب عوامل داخلية تخص القيادة الفلسطينية.

لقد اختلطت الأواراق مؤخراً في الساحة الفلسطينية، فالقيادة التي ذهبت إلى التسوية، غدت غير مقبولة وأصبحت تتهم بأنها تميل إلى جانب برنامج المقاومة، وأصبحت تتحمل ولو إعلامياً نتيجة مسؤولية أي عملية للمقاومة، وظهرت تيارات داخل قيادة السلطة الفلسطينية أقرب في برامجها الى برامج المقاومة من برنامج التسوية، بل إن هذه الاختلافات قادت إلى تمردات أو اضطرابات داخلية محدودة هنا وهناك داخل مناطق السلطة الفلسطينية.

في ضوء ذلك يصعب الحديث اليوم عن برنامجين واضحين داخل السلطة الفلسطينية، برنامج المقاومة وبرنامج التسوية، هناك داخل

السلطة كما أشرنا أطراف قوية ولها حضور وهي أقرب إلى برنامج المقاومة منه إلى برنامج التسوية، وأن أصحاب برنامج التسوية لا يستطيعون الذهاب بعيداً، لأن السلطات العسكرية الإسرائيلية هي الأخرى لا تتجاوب حتى مع متطلبات الحد الأدنى لاستمرارهم.

نستطيع القول إن الرأي العام الفلسطيني اليوم بات يائساً من التسوية، وأن آماله المحدودة إزاء التسوية من أنها سترفع السيطرة العسكرية اليومية، ولكن ما تسفر عنه على الأقل هذه الآمال قد أجهضت بعد أن بات يعاني من ضربات قوات الاحتلال العسكرية في ظل التسوية أكثر بكثير مما كان يعاني منه قبل أوسلو، بل إنه في السابق كانت الصورة واضحة، لديه شعب محتل يقاوم، وقيادة في الخارج تقف إلى جانب المقاومة ولا يجرؤ أي برنامج للتسوية أن يطرح نفسه. أما اليوم فهناك سلطة فلسطينية قادت التسوية، ولكنها وصلت إلى طريق مسدود قادها إلى التحالف والتقارب مع المقاومة.

إن هذا لا يعني أن أصحاب برنامج التسوية قد اختفوا، على العكس فإن أصحاب برنامج التسوية يتحركون بعناوين مختلفة، لكنها جميعها ترفع شعارات موحدة، الوقوف خلف القيادة، الدولة الفلسطينية المستقلة، عودة اللاجئين... إلخ ولكن هناك نداءات ومؤتمرات وقوى متحركة باتجاه التسوية.

توقيت الانتخابات مسألة مهمة، فالظروف الموضوعية التي تحيط بالرأي العام اليوم غير تلك التي تحيط به غدا، وعليه فإذا ما جرت الانتخابات الفلسطينية في المدى المنظور، وهذا لن يحدث، للرفض الإسرائيلي، فإن برنامج المقاومة هو الذي سيسود، بل إن أصحاب برنامج التسوية سيتبنون إعلامياً برنامج المقاومة وإن كانت رموزهم غير خافية على الشعب الفلسطيني، ولكن إذا ما جرت الانتخابات بحرية ونزاهة، وهذا لن يحصل كذلك، إذا ما جرت فإن برنامج المقاومة هو الذي سيسود بشكل واضح، لا رفضاً للتسوية أو حباً في المقاومة، بل لأن الطرف الآخر الإسرائيلي أوصل الجميع بالممارسات عن طريق القتل والتدمير إلى قناعة أنه لا يريد التسوية وأنه يريدها مذلة مهينة.

مناقشات الجلسة الثانية

د. خالد عبيدات

هل يجب أن يكون هنالك تنسيق معين مع إسرائيل حتى تتم الانتخابات؟ وإذا لم يتم التنسيق هل ستلغى الانتخابات ؟

أ.فالح الطويل

ورد حديث بأن السلطة تشكلت في منتصف الطريق بين التفاوض وامتلاك الدولة.

وإسرائيل ترفض أن تصل بالسلطة لامتلاك الدولة، واستطاعت أن تجعل الولايات المتحدة تتخذ الموقف نفسه، والموقف الأوروبي كذلك، فليس هناك أي إمكانية للتحول من هذه المرحلة المضطربه إلى مرحلة امتلاك الدولة. فلماذا لا ترفض السلطة هذا الوضع وتنسحب من الساحة الفلسطينية كاملاً وإعادة الأمور لوضعها الطبيعي وليقم الشعب الفلسطيني بانتخابات سرية لتنظيم المقاومة؟

د.معاوية المصري

إن العدو الصهيوني أعد دراسة عن إمكانية غياب السلطة عن الساحة، ووجد نتيجة هذه الدراسة أن غياب السلطة سيكون كارثياً على الشعب الإسرائيلي ودولة إسرائيل، فيجب علينا أن ندرس هذا الطرح، وأؤيد أن السلطة عليها أن تنسحب.

أ.محمد شريف الجيوسي

من الطرف القادر على اتخاذ قرار بتأجيل الانتخابات أو إيجاد البدائل؟ وفيما يتعلق بغياب السلطة، فهي فعلياً غائبة وضعيفة، والاحتلال الإسرائيلي يريد إضعافها، ولا يريد القضاء عليها على أمل أن يطوعها لمصالحه في المستقبل .

أ.جواد الحمد

ما هي هذه البدائل؟ فلا بد أن تكون مطروحة لتنوير الرأي العام.

من سيضمن الالتزام بنتائج الانتخابات؟ وما هي الاقتراحات لتحقيق هذا الضمان؟

د. رائد نعيرات

إذا اتفقنا -فصائل وأحزاب - على إيجاد الجسم السياسي الفلسطيني العام، عندها سنضمن نحن نتائج هذه الانتخابات إذا كانت تحقق تطلعات الشعب الفلسطيني، ولكن ضمن المعطيات الحالية فإن أحداً لن يضمن نتائجها على صعيد السلطة أو على صعيد المعارضة .

وهنا تأتي عمليات التزاوج القسري بين الاستجابة للضغوط الخارجية، والحفاظ على الوضع القائم لتبقى الجبهة الحاكمة في مواقعها ولكن هذه المرة بمظهر ديمقراطي ...

الساحة الفلسطينية لم تشذ عن هذه القاعدة، والانتخابات التي جرت بعد عودة منظمة التحرير الفلسطينية إلى الداخل وعبر اتفاقية أوسلو شهدت عمليات انتخابية بإشراف دولي، ولكن هذا ساق قيادة منظمة التحرير لقيادة السلطة، ولا نعني بها الشخصيات والرموز وحسب، بل البرامج أي برامج المسيرة السلمية، بل إن هذه البرامج التي لم تكن بعيدة عن رغباتها عادة، فهذه الإدارات انقلبت عليها حيث تأثر برنامج السلطة أو حينما لم يتما مع ضغوط تلك الادارات .

برنامج المقاومة لا يعني أن أصحاب برنامج التسوية اختلفوا، بل إنهم يتحركون بعناوين مختلفة وجميعها ترفع شعارات موحدة.

أ.فالح الطويل

الانتخابات لو جرت لن يكون لها أي قيمة عملية لتقديم مصلحة الشعب الفلسطيني، الموضوع الأساسي الإسرائيلي هو تحويل المطالب الفلسطينية إلى قضايا خلافية مثل : الجدار ، تقسيم الأرض، السيادة، الحدود، الشعب، ...إلخ

دائماً هناك خطة إسرائيلية تفصيلية صغيرة يجري حولها الحديث لأشهر من أجل الاتفاق فيها، لكن نحن نترك الخطيئة الأولى وهي الاحتلال، ومخالفة إسرائيل للقانون الدولي والإنساني .

أعتقد أن استمرار التعامل مع هذه التفاصيل الإسرائيلية هومشاركة في اللعب بالورقة الإسرائيلية ، فيما يخص الليكود والعمل ومن سنة ١٩٤٨ حتى ٢٠٠٤ لم يكن خلاف بين الليكود والعمل .

حان الوقت لنتوقف عن التفصيلات وضرورة وجود إجراء جدري ونتوقف عن التصرف النمطي .

أ.جمال الشوبكي

إسرائيل تريد أن تبقي المنطقة في مربع العنف، والدليل على ذلك نسفها لكل محاولات الهدنة بالاغتيالات و الاجتياحات ، لذلك فإن أي

مرونة في الموقف السياسي الفلسطيني، وأي اختراق دولي من جانب الفلسطينيين ممكن أن يؤدي إلى أخذ الحق، فنحن أقوى لأننا أصحاب حق، وإسرائيل أضعف باحتلالها؛ لذلك يجب أن تأتي الانتخابات على ضوء خريطة الطريق .

أ.شاكر الجوهري

في ذات الوقت الذي تتوجه فيه حماس نحو تحولات سياسية مفصلية للانخراط في الانتخابات المقبلة، هل هناك توقعات أن تتوقف حماس عن الكفاح المسلح خاصة، ولا سيما أنه يمكن أن تستعيض عنه بالصواريخ التي يزداد مداها الآن من خلال المنجزات العلمية؟

أ.جواد الحمد

هل من مصلحة القضية تغيير مرجعية خريطة الطريق ونضع مرجعية فلسطينية جديدة ثم نتفق على الآليات؟ وهل العامل الدولي هو الحل؟ وهل تطبيق الشرعية الدولية هو الحل؟

هل يمكن إحياء منظمة التحرير الفلسطينية ؟ فلعل منظمة تحرير محسنة يكون فيها الحل .

موضوع خريطة الطريق والتحفظ الإسرائيلي عليها من ١٤ بنداً، هل إذا تمسكنا بها فرضياً نستطيع أن نجبر إسرائيل على تطبيق خطة

خريطة الطريق، بحيث تكون هذه مرجعية للانتخابات . وهل تستطيع الرباعية إجبار إسرائيل على تطبيق خريطة الطريق ؟

أ.محمد شريف الجيوسي

اتجه الفلسطينيون للعقلانية أم لم يتجهوا فإن النتائج في نظر إسرائيل واحدة، فإنها ليس في أجندتها أي معنى للسلام أو التسوية، ولكن هذا لا يمنع أن يعمل الفلسطينيون على الأصعدة كافة، وفي كل المجالات بما في ذلك صعيد الانتخابات .

د. عماد جاد

من المؤسف أن أي فكرة تعرض علينا نحن العرب تبادر بالرفض مباشرة، ونتعامل فقط مع ردة الفعل مع فوات الأوان، فنحن ننتظر من حكومة شارون أن تسقط، وننتظر من بوش أن يهزم في الانتخابات.